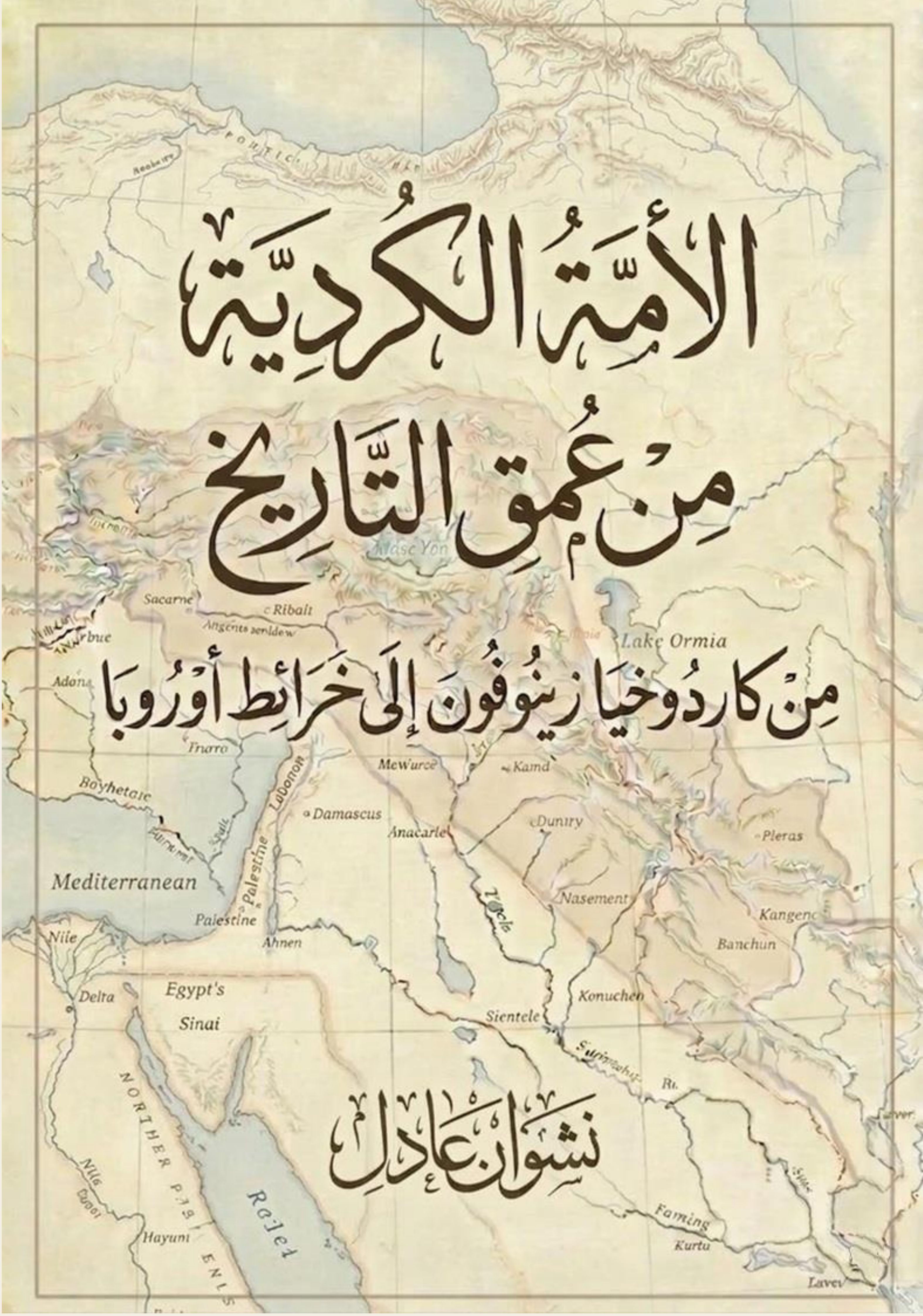
الأمة الكردية من عمق التاريخ

مِن كاردوخيا زينوفون إلى خرائط أوروبا

نشوان عادل



الإهداء

إلى من أحب الجميع عربًا وفرسًا وتركًا...

إلى من علمني حبهم جميعًا...

إلى معلمي الأول: الراحل أبي... طاب ثراك

المقدمة

زارني بعد عقود من الفراق الذي فرضه الاغتراب، فأدخل إلى قلبي الأمل في حياة جديدة بعد هذا اللقاء. كان قد خطط أن يمكث أسبوعًا، يفترش الأرض في بيت والدي الذي كان يزور الأهل في الوطن صحبة أمي، إذ لم أكن أملك يومها شقة تخصني.

انفجرت في وجهه في أولى الأمسيات الدافئة. وأظن أن الجيران في نهاية الشارع قد سمعوا صوتي من شدة صراخي، فطردته.

كان ذلك الذي وقع بيني وبين حبيب القلب ورفيق الدرب، صديق الطفولة وابن مدينتي الكردية في إقليم كردستان العراق الحبيب، حين أطلق رصاصة نحو قلبي بكلمة واحدة قالها بهدوء:

«أنا لست عراقيًا»

لم أصدق ما سمعت. فكيف لمعشوقي الأول أن ينكر معشوقي الثاني؟ وكيف لمن كبر معي أن ينكر من احتوانا وكان لكلينا وطنًا؟

ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلة طويلة من الأسئلة. مرت على العراق سنوات ثقال، وأثقلتني السياسات العربية بما ألقته على كتفي من غل. ودفعتني الأيام السوداء بما توالى فيها من مسبات وشتائم وازدراء لهويتي الكردية إلى تأييد الاستفتاء والمطالبة بالاستقلال عن بعض أبناء العراق الذين ينكرون وجودي، واشتدت في داخلي مشاعر الغضب.

ثم دارت الأيام إلى أن جاء يوم الصدمة الوجودية بوفاة أمي، فتغيرت نظرتي إلى كل شيء من حولي. صرت أحب من كرهني يومًا، وكان أول ما عدت إليه من شيء هو حب العراق، مع وخزة في القلب ما زالت تبعاتها التي تدفعني إلى الحلم بالاستقلال قائمة إلى اليوم.

وما يجري اليوم من كراهية وحقد من البعض على قومي دفعني إلى التعمق في هذه المسألة. ومن هناك بدأت رحلتي في البحث حين وقعت عيني على اسم زينوفون، فتوالت المصادر والمنابع.

أردت في أول الأمر أن أنشر مقالًا عن زينوفون وحديثه عن قومي قبل ألفي سنة ونيف، لكنني لم أتوقف إلا بعد أسابيع طويلة من بحث دقيق انتهيت فيه إلى ما كنت أستخف بمن يقوله:

«الكرد من أقدم الشعوب توثيقاً في نقوش المنطقة»

ووصل بي الأمر في لحظة امتزجت فيها الدهشة بالابتسام، إلى أن أتساءل حتى عن قصة نوح: أيكون أبًا للكرد؟ غير أن ابتسامتي ما لبثت أن زالت وأنا أتابع البحث في الخرائط والمصادر، تاركًا أمر الأنبياء لرب الأنبياء.

فارتأيت أن أنشر هذا الكتيب بما وقع تحت يدي من مصادر موثوقة ليست من كلام الكرد، ولا من كلام غيرهم من أقوام المنطقة، بل من كلام أهل العلم الذين تفصلهم عن شرور السياسة الحاضرة قرون طويلة. ليكون برهانًا على أن لفظة محتها السياسة من الخرائط، بعدما أثبتها الأقدمون فيها من باب إحقاق الحق، ظلت تسكن القلب الكردي منذ قديم الدهر إلى يوم تدويني لهذا الكتيب، واسمها:

كردستان

الاستهلال

عندما تهتم بالطب وتجد في كتاب جغرافي مصطلحًا طبيًا نادرًا ما يصطلحه الأطباء، كونه محصورًا في كتب الطب القديم، سيثير دهشتك وروده في كتاب ذي اختصاص بعيد أكاديميًا عن الطب كالجغرافيا. وعلى أغلب الظن ستتعمق في المقال فتقرأه بحرص. وهذا ما حدث معي كمهتم بالفلسفة عندما قرأت اسم تلميذ من تلامذة سقراط وهو يتحدث عن الكرد، فأثار اسمه استغرابي ودهشتي، فتعمقت في دراسة المسألة.

فكما هو معروف من الأمور اللافتة في التاريخ، أن الفيلسوف اليوناني سقراط، رغم كونه من أكثر الشخصيات تأثيرًا في تشكيل الذهنية الفلسفية التي ورثها العالم إلى يومنا هذا، لم يكتب كلمة واحدة قط، وكل ما وصلنا منه هو من تدوين تلامذته لأفكاره نقلًا عنه. وأحد هؤلاء، ممن صاحبه إلى جوار تلميذه الأهم أفلاطون والآخرين، هو الفيلسوف والمؤرخ والجندي زينوفون (Xenophon)، المتوفى سنة ٣٥٤ ق.م، وهو الذي قدم في كتابه «مذكرات سقراط» (Memorabilia) صورة أكثر تبسيطًا وأخلاقية لمعلمه مقارنة بأفلاطون.

حدثت لي تلك الدهشة حين توقفت مستغربًا عند حديثه عن هذا الشعب أثناء دراستي موضوعًا جغرافيًا يتناول الأقوام الإيرانية الناطقة باللغات الهندوأوروبية، ومن هناك بدأت دراستي هذه، جنبًا إلى جنب مع دراسة الأقوام التركية الناطقة باللغات التركية. إذ قد لفت انتباهي ما يحدث من التباس حين يُربط مصطلحا «إيران» و«تركيا» السياسيين، بوصفهما دولتين حديثتين، بأصول الشعوب الإيرانية

والتركية التي تعود جذورها إلى ما قبل قيام هاتين الدولتين بقرون طويلة. إذ توهم التسمية أحيانًا بأن الدولتين الحديثتين هما أصل تلك الشعوب العريقة.

فالشعب الكردي حاله حال الشعب الفارسي، كلاهما ينتمي إلى الشعوب الإيرانية ضمن العائلة اللغوية الهندوأوروبية. وما جمهورية إيران الحديثة إلا تسمية جغرافية أطلقها أهل البلاد الذين قادتهم العائلة الحاكمة من بلاد فارس على الإقليم الذي حكموه، وهو الإقليم الواقع ضمن حدود إيران اليوم. وقد استُعيرت هذه التسمية من العائلة اللغوية الكبرى التي تضم الفرس والكرد وغيرهم من الشعوب الإيرانية. ولعل الأمر يشبه أن يطلق أحد أفراد عائلة اسم العائلة على متجر يملكه، فيظن من يأتي بعده ليفتح دكانًا أن الاسم يخص ذلك المتجر وحده، مع أنه في الأصل اسم العائلة كلها بكل أبناء العمومة.

وهذا الأمر مشابه لما حدث في تركيا الحديثة. فبعد هزيمة الإمبراطورية البيزنطية استقر السلاجقة المنتصرون والقادمون من أواسط آسيا إلى هذه الجغرافيا في الأناضول، وهي كلمة يونانية تعني «المشرق» أو «مكان شروق الشمس». وقد حمل هؤلاء اسمهم التركي، فصارت البلاد تعرف لاحقًا باسم تركيا.

ومع ذلك فإن أتراك إسطنبول وأنقرة كشعب تركي، شأنهم شأن الأذر والقيرغيز وغيرهم من الشعوب يطلق عليهم الشعوب التركية. ولو أن الأذر مثلًا أطلقوا اسم العائلة التركية على دولتهم قبلًا، لكانت «تركيا» في الشمال بعيدًا عن الشرق الأوسط، وربما حملت الأناضول اسمًا آخر، كما عُرفت في زمن سابق باسم "الإمبراطورية العثمانية" نسبة إلى السلطان عثمان.

وفي هذا الشأن يشبه الأمر أن يُظن أن الألمان أصل للإنجليز أو للدانماركيين وبقية الشعوب الاسكندنافية أو للهولنديين، لمجرد أن اللغة الإنجليزية تطلق عليهم جميعًا اسم "الجرمان"، وهو الاسم نفسه الذي يطلق على تلك الشعوب التي تعد مع الألمان شعوبًا جرمانية.

لهذا وجب الفصل بين الشعوب بوصفها جماعات تاريخية قديمة، وبين الدول الحديثة بوصفها أقاليم جيوسياسية نشأت في عصور متأخرة.



الفروع اللغوية الواردة ذكرها في الكتيب ضمن العائلتان اللغويتان في المنطقة

زينوفون وكاردوخيا

وأنا أدرس الجغرافيا تلك ولغاتها، وقفت طويلًا عند اللغة الكردية بوصفها إحدى اللغات الإيرانية إلى جوار اللغة الفارسية التي ينطق بها الشعب الفارسي. إذ أن اللغة الكردية تنتمي للفرع الإيراني الشمالي الغربي، بينما الفارسية تنتمي للفرع الجنوبي الغربي. ثم تطورت دراستي من اللغة إلى التاريخ بعد أن ورد اسم زينوفون حين ذكر في كتابه «أناباسيس» (Anabasis) (٤٠١–٤٠٣) قومًا جبليين سماهم «الكاردوخوي» (Carduchoi)، والذين يرى بعض الباحثين في الدراسات الإيرانية أنهم يمثلون أسلاف الكرد.

كنت أعرف زينوفون حق المعرفة من باب اهتمامي بالفلسفة بوصفه أحد تلامذة الفيلسوف اليوناني الكبير سقراط، غير أني لم أقرأ عنه قائدًا عسكريًا، أو بالأحرى خانتني الذاكرة أو كان قد فاتني ذلك. فقرأت عنه أنه قد شارك في حملة كورش الأصغر ضد أخيه الملك الفارسي أردشير الثاني المعروف في المصادر اليونانية باسم أرطاخشَتس الثاني (Artaxerxes II)، التي انتهت بمعركة كوناكسا سنة ٤٠١ ق.م قرب بابل. وكان زينوفون يقود جيشًا من المقاتلين الإغريق المرتزقة المعروفين بجيش العشرة آلاف، الذين استأجرهم كورش للقتال معه ضد أخيه كي ينتزع منه العرش بعد وفاة والدهما الملك دارا الثاني (داريوس الثاني)، مما أدى لغضب أعيان الفرس وتأييدهم لأردشير. فقُتل كورش في المعركة، ما اضطر الجيش الإغريقي إلى الانسحاب عبر جبال الأناضول في رحلة شاقة سجلها زينوفون لاحقًا في كتابه «أناباسيس». إذ تعرض خلال انسحابه لهجمات متواصلة من قوم على طريق الانسحاب وصفهم بأنهم قوم محاربون لا يخضعون للملك الفارسي، مهرة في القوس والمقلاع، يهاجمون الجيش من المرتفعات طوال سبعة أيام، في منطقة جغرافية أشار إليها في كتابه باسم «كاردوخيا».

يضع المؤرخون موطن «الكاردوخ» في المنطقة التي مر خلالها الجيش الإغريقي هذا، وعُرفت لاحقًا في المصادر اليونانية والرومانية باسم «كوردوين» (Corduene). وهي المنطقة الجبلية الواقعة بين أعالي نهر دجلة وهضبة أرمينيا، أي في الجزء الشمالي من كردستان التاريخية، ضمن جنوب شرق تركيا وشمال العراق اليوم. وتحديدًا ما بين جبال بوتان وأعالي نهر دجلة ومنطقة هكاري وحول جزيرة بوتان (Cizre). ويرى عدد من الباحثين تسمية «الكاردوخيين» الموثقة على لسان تلميذ سقراط زينوفون مرحلة مبكرة في تطور الاسم الذي عُرف لاحقًا بالكرد، رغم بقاء الرأي هذا قيد البحث غير محسوم. إذ من الممكن فهم تدوين زينوفون للاسم بصيغة «كاردوخوي» (Καρδοῦχοι) بدرجة عالية من الاحتمال على أنه سمعه من أدلاء يعرفون الطرق استخدمهم في معاركه التي خاضها لسبعة أيام ضد المهاجمين "الكاردوخيين"، أو استجوب أسرى منهم لمعرفة الجغرافيا، فنقله نقلًا يونانيًا لاسم محلي أقدم كان الأدلاء والأسرى يستخدمونه في ذلك الزمن، قريب من "كاردو" الوارد في النقوش الآشورية كان يطلق على القوم الجبليين، قد صيغ وفق قواعد اللغة اليونانية حيث تُضاف لاحقة الجمع "-خوي" (choi-). ويرد اسم كاردوخوي Καρδοῦχοι في أناباسيس 9 مرات في الكتاب بصيغة الجمع، و 3 مرات بصيغة الإضافة Καρδούχων. وهكذا ذكر لاثنتي عشرة مرة لا يعد ذكرًا عابرًا، بل وصف لحرب استمرت سبعة أيام بين جيش زينوفون والكاردوخ.

هنا نضع مواضع ذكر اللفظة باللغتين اليونانية القديمة وترجمتها الى العربية مع تبيان دلالة الذكر:

1 الصفحة 204:

النص الأصلي: *Ἔνθα δὴ οἱ μὲν **Καρδοῦχοι** ἐκλιπόντες τὰς οἰκίας ἔχοντες καὶ γυναῖκας καὶ παῖδας ἔφευγον ἐπὶ τὰ ὄρη.*

الترجمة: «وهنا ترك الكاردوخ بيوتهم ومعهم نساؤهم وأطفالهم وفرّوا إلى الجبال»

الدلالة: وجود **عائلات وقرى**، وأنهم **شعب مستقر** وليس مجرد محاربين.

2 الصفحة 204

النص الأصلي: *...εἰ πώς ἐθελήσειαν οἱ **Καρδοῦχοι** διιέναι αὐτοὺς ὡς διὰ φιλίας τῆς χώρας, ἐπείπερ βασιλεῖ πολέμιοι ἦσαν.*

الترجمة: « عسى أن يرغب الكاردوخيون في السماح لهم بالمرور عبر بلادهم كما لو كانوا أصدقاء، لأنهم كانوا أعداءً للملك.»

الدلالة: استقلال الكاردوخ عمَّن حولهم من الشعوب، **وعداؤهم** للإمبراطورية الفارسية.

τηνικαῦτα ἀναστάντες ἀπὸ **παραγγέλσεως** πορευόμενοι
6 ἀφικνοῦνται ἅμα τῇ ἡμέρᾳ πρὸς τὸ ὄρος. ἔνθα δὴ
Χειρίσοφος **μὲν** ἡγεῖτο τοῦ στρατεύματος λαβὼν τὸ
ἀμφ' αὑτὸν καὶ τοὺς γυμνῆτας πάντας, Ξενοφῶν δὲ
σὺν τοῖς ὀπισθοφύλαξιν ὁπλίταις εἵπετο οὐδένα ἔχων γυ-
μνῆτα· οὐδεὶς γὰρ κίνδυνος ἐδόκει εἶναι μή τις, ἄνω
7 πορευομένων,[1] ἐκ τοῦ ὄπισθεν ἐπίσποιτο. καὶ ἐπὶ μὲν
τὸ ἄκρον ἀναβαίνει Χειρίσοφος πρίν τινας αἰσθέσθαι
τῶν πολεμίων· ἔπειτα δ' **ὑφηγεῖτο**· ἐφείπετο δὲ ἀεὶ τὸ[2]
ὑπερβάλλον τοῦ στρατεύματος εἰς τὰς κώμας τὰς ἐν
τοῖς **ἄγκεσί** τε καὶ **μυχοῖς** τῶν ὀρέων.
8 Ἔνθα δὴ οἱ μὲν Καρδοῦχοι ἐκλιπόντες τὰς οἰκίας
ἔχοντες καὶ γυναῖκας καὶ παῖδας ἔφευγον ἐπὶ τὰ ὄρη.
τὰ δὲ ἐπιτήδεια πολλὰ ἦν λαμβάνειν, ἦσαν δὲ καὶ **χαλ-
κώμασι** παμπόλλοις κατεσκευασμέναι αἱ οἰκίαι, ὧν οὐδὲν
ἔφερον οἱ Ἕλληνες, οὐδὲ τοὺς ἀνθρώπους ἐδίωκον, **ὑπο-
φειδόμενοι**, εἴ[3] πως ἐθελήσειαν οἱ Καρδοῦχοι διιέναι
αὐτοὺς ὡς διὰ φιλίας τῆς χώρας, ἐπείπερ βασιλεῖ πολέ-
9 μιοι ἦσαν· τὰ μέντοι ἐπιτήδεια ὅπου τις ἐπιτυγχάνοι
ἐλάμβανον· ἀνάγκη γὰρ ἦν. οἱ δὲ Καρδοῦχοι οὔτε
καλούντων ὑπήκουον οὔτε ἄλλο φιλικὸν οὐδὲν ἐποίουν.
10 ἐπεὶ δὲ οἱ τελευταῖοι τῶν Ἑλλήνων κατέβαινον εἰς τὰς
κώμας ἀπὸ τοῦ ἄκρου ἤδη σκοταῖοι — διὰ γὰρ τὸ στε-
νὴν εἶναι τὴν ὁδὸν ὅλην τὴν ἡμέραν ἡ ἀνάβασις αὐτοῖς
ἐγένετο καὶ κατάβασις — τότε δὴ συλλεγέντες τινὲς
τῶν Καρδούχων τοῖς τελευταίοις ἐπετίθεντο, καὶ ἀπέκτει-
νάν τινας καὶ λίθοις καὶ τοξεύμασι κατέτρωσαν, ὀλί-
γοι ὄντες·[4] ἐξ **ἀπροσδοκήτου** γὰρ αὐτοῖς ἐπέπεσε τὸ
11 **Ἑλληνικόν**. εἰ[5] μέντοι τότε πλείους[6] συνελέγησαν,

[1] **972**, a. 1568[1]. ***657***, N. 1. *590*, a. [2] τὸ (μέρος) ὑπερβάλλον. [3] **907**. 1420. ***613***. *652*. [4] **969**, e. 1563, 6. ***653***, 7. *503*. [5] **895**. 1397. ***606***. *649*. [6] = πλείονες.

3 الصفحة 205

النص الأصلي: *οἱ δὲ* ***Καρδοῦχοι*** *πυρὰ πολλὰ ἔκαιον κύκλῳ ἐπὶ τῶν ὀρέων.*

الترجمة: «وكان الكاردوخ يشعلون نيرانًا كثيرة تحيط بهم من كل جانب على الجبال.»

الدلالة: وجودهم على الجبال، ونظام إشارات أو إنذار.

ἐκινδύνευσεν ἂν διαφθαρῆναι πολὺ τοῦ στρατεύματος. καὶ ταύτην μὲν τὴν νύκτα οὕτως ἐν ταῖς κώμαις ηὐλίσθησαν· οἱ δὲ Καρδοῦχοι πυρὰ πολλὰ ἔκαον κύκλῳ ἐπὶ τῶν ὀρέων καὶ συνεώρων ἀλλήλους.

Topics for Study. (1) Peculiarity in the use of **σκοταῖος, τελευταῖος, πρῶτος** etc. (2) Difference between διὰ φιλίας τῆς χώρας and διὰ τῆς φιλίας χώρας. (3) Idiom for '*unexpectedly*.' (4) The class of: **κτείνω, φθείρω, τιτρώσκω.**

Leaving all things dispensable they journey through storm, hard pressed by the enemy.

Ἅμα δὲ τῇ ἡμέρᾳ συνελθοῦσι τοῖς στρατηγοῖς καὶ 12
λοχαγοῖς τῶν Ἑλλήνων ἔδοξε τῶν τε ὑποζυγίων τὰ ἀναγκαῖα καὶ δυνατώτατα ἔχοντας πορεύεσθαι, καταλιπόντας τἄλλα, καὶ ὅσα ἦν **νεωστὶ** αἰχμάλωτα ἀνδράποδα ἐν τῇ στρατιᾷ πάντα ἀφεῖναι. **σχολαίαν** γὰρ 13
ἐποίουν τὴν πορείαν πολλὰ ὄντα τὰ ὑποζύγια καὶ τὰ αἰχμάλωτα, πολλοὶ δὲ οἱ ἐπὶ τούτοις ὄντες ἀπόμαχοι ἦσαν, διπλάσιά τε ἐπιτήδεια ἔδει πορίζεσθαι καὶ φέρεσθαι πολλῶν τῶν ἀνθρώπων ὄντων. δόξαν[1] δὲ ταῦτα ἐκήρυξαν οὕτω ποιεῖν.

Ἐπεὶ δὲ ἀριστήσαντες ἐπορεύοντο, ὑποστήσαντες ἐν 14
τῷ στενῷ οἱ στρατηγοί, εἴ τι εὑρίσκοιεν τῶν εἰρημένων μὴ ἀφειμένον, ἀφῃροῦντο, οἱ δ' ἐπείθοντο, πλὴν εἴ τίς τι **ἔκλεψεν**, οἷον ἢ παιδὸς[2] ἐπιθυμήσας ἢ γυναικὸς τῶν **εὐπρεπῶν**.[3] καὶ ταύτην μὲν τὴν ἡμέραν οὕτως ἐπορεύθησαν, τὰ[4] μέν τι μαχόμενοι τὰ δὲ καὶ ἀναπαυόμενοι. εἰς δὲ τὴν ὑστεραίαν γίγνεται χειμὼν πολύς, ἀναγκαῖον 15
δ' ἦν πορεύεσθαι· οὐ γὰρ ἦν ἱκανὰ τἀπιτήδεια. καὶ ἡγεῖτο μὲν Χειρίσοφος, ὠπισθοφυλάκει δὲ Ξενοφῶν. καὶ οἱ πολέμιοι ἰσχυρῶς ἐπετίθεντο, καί, στενῶν ὄντων

[1] **974** and a. 1569. ***658***, N. (end). *591.* [2] **742.** 1102. ***356.*** *511.* [3] **729**, e. 1085, 7. ***355.*** *506*, a. [4] **719**, b. 1060. ***443***, 1. *549*, a.

4 الصفحة 219

النص الأصلي: *Καὶ γὰρ οἱ* ***Καρδοῦχοι*** *φανεροὶ ἤδη ἦσαν εἰς τὸ πεδίον καταβαίνοντες ὡς ἐπιθησόμενοι τοῖς τελευταίοις.*

الترجمة: «وقد أصبح الكاردوخ ظاهرين بالفعل، إذ كانوا ينزلون من الجبال إلى السهل ليهاجموا مؤخرة الجيش.»

الدلالة: تكتيك الهجوم من المرتفعات.

5 الصفحة 219

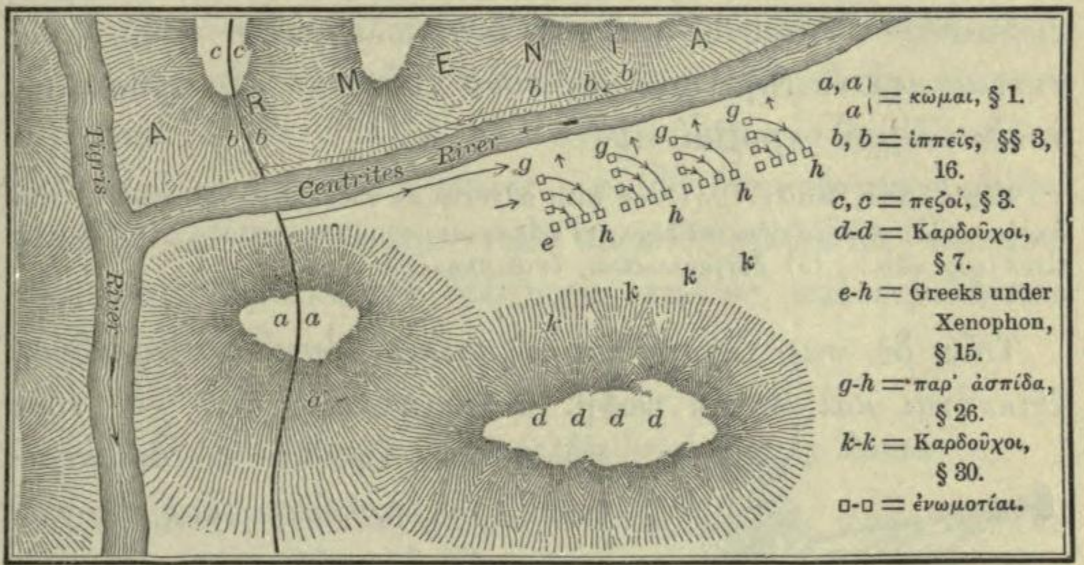
النص الأصلي: *Ξενοφῶν δὲ στραφείς πρὸς τοὺς* ***Καρδοῦχους*** *ἀντία τὰ ὅπλα ἔθετο.*

الترجمة: « أما زينوفون فاستدار نحو الكاردوخ ووجّه السلاح في مواجهتهم.»

الدلالة: واجههم زينوفون بذاته ولم ينقل الكلام من غيره قد سمعه عنهم.

The others cross protected from the rear enemy by Xenophon.

Ξενοφῶν δ' ἐπεὶ τὰ πέραν ἑώρα καλῶς γιγνόμενα, 24 ἀπεχώρει τὴν ταχίστην πρὸς τὸ διαβαῖνον στράτευμα· καὶ γὰρ οἱ Καρδοῦχοι φανεροὶ ἤδη ἦσαν εἰς τὸ πεδίον καταβαίνοντες ὡς ἐπιθησόμενοι τοῖς τελευταίοις. καὶ 25



Χειρίσοφος μὲν τὰ ἄνω κατεῖχε, Λύκιος δὲ σὺν ὀλίγοις ἐπιχειρήσας ἐπιδιῶξαι ἔλαβε τῶν σκευοφόρων **τὰ** ὑπολειπόμενα καὶ μετὰ τούτων ἐσθῆτά τε καλὴν καὶ **ἐκπώματα**. καὶ τὰ μὲν σκευοφόρα τῶν Ἑλλήνων καὶ ὁ 26 ὄχλος **ἀκμὴν** διέβαινε, Ξενοφῶν δὲ στρέψας πρὸς τοὺς Καρδούχους ἀντία τὰ ὅπλα ἔθετο, καὶ παρήγγειλε τοῖς λοχαγοῖς κατ' ἐνωμοτίας ποιήσασθαι ἕκαστον τὸν ἑαυτοῦ λόχον, παρ' ἀσπίδα παραγαγόντας τὴν ἐνωμοτίαν ἐπὶ φάλαγγος· καὶ τοὺς μὲν λοχαγοὺς καὶ τοὺς ἐνωμοτάρχους πρὸς τῶν Καρδούχων ἰέναι, **οὐραγοὺς δὲ** καταστήσασθαι πρὸς τοῦ ποταμοῦ.

Οἱ δὲ Καρδοῦχοι ὡς ἑώρων τοὺς ὀπισθοφύλακας **τοῦ** 27 ὄχλου ψιλουμένους καὶ ὀλίγους ἤδη φαινομένους, θᾶττον δὴ ἐπῆσαν **ᾠδάς** τινας **ᾄδοντες**. ὁ δὲ Χειρίσοφος,

6 الصفحة 220

النص الأصلي: *Οἱ δὲ* ***Καρδοῦχοι*** *ὁρῶντες ὀλίγους ἤδη τοὺς λοιποὺς ἤρχοντο σφενδονᾶν καὶ τοξεύειν.*

الترجمة: «فلما رأى الكاردوخ أن عدد الإغريق قد قلّ، بدأوا يقذفون بالمقاليع ويرمون بالسهام.»

الدلالة: استخدامهم الأقواس والمقاليع.

ἐπεὶ τὰ παρ' αὐτῷ ἀσφαλῶς εἶχε, πέμπει παρὰ Ξενο-
φῶντα τοὺς πελταστὰς καὶ σφενδονήτας καὶ τοξότας
28 καὶ κελεύει ποιεῖν ὅ τι ἂν παραγγέλλῃ. ἰδὼν δ' αὐτοὺς
διαβαίνοντας ὁ Ξενοφῶν πέμψας ἄγγελον κελεύει αὐτοῦ
μεῖναι ἐπὶ τοῦ ποταμοῦ μὴ διαβάντας· ὅταν δ' ἄρξων-
ται αὐτοὶ διαβαίνειν, ἐναντίους ἔνθεν καὶ ἔνθεν σφῶν
ἐμβαίνειν ὡς διαβησομένους, διηγκυλωμένους τοὺς ἀκον-
τιστὰς καὶ ἐπιβεβλημένους τοὺς τοξότας· μὴ πρόσω δὲ
τοῦ ποταμοῦ προβαίνειν.

Topics for Study. (1) *τό* with adverbs as *τοὔπισθεν, τοὔμπαλιν.* (2) *ἀκμήν.* (3) *παρ' ἀσπίδα, ἐπὶ δόρυ, ἐπὶ φάλαγγος* as military terms. (4) Derivatives from *ᾠδή.* (5) *διηγκυλωμένοι, ἐπιβεβλημένοι.*

29 Τοῖς δὲ παρ' ἑαυτῷ παρήγγειλεν, ἐπειδὰν σφενδόνη
ἐξικνῆται καὶ ἀσπὶς **ψοφῇ**, παιανίσαντας θεῖν εἰς τοὺς
πολεμίους· ἐπειδὰν δ' ἀναστρέ-
ψωσιν οἱ πολέμιοι καὶ ἐκ τοῦ
ποταμοῦ ὁ **σαλπικτὴς** σημήνῃ
τὸ πολεμικόν, ἀναστρέψαντας
ἐπὶ δόρυ ἡγεῖσθαι μὲν τοὺς
οὐραγούς, θεῖν δὲ πάντας καὶ
διαβαίνειν ὅτι τάχιστα ᾗ ἕκα-
στος τὴν τάξιν εἶχεν, ὡς μὴ
ἐμποδίζειν ἀλλήλους· ὅτι οὗτος
ἄριστος ἔσοιτο ὃς ἂν πρῶτος
ἐν τῷ πέραν γένηται.



σαλπικτής.

30 Οἱ δὲ Καρδοῦχοι ὁρῶντες ὀλίγους ἤδη τοὺς λοιποὺς
— πολλοὶ γὰρ καὶ τῶν μένειν τεταγμένων ᾤχοντο ἐπι-
μελόμενοι οἱ μὲν ὑποζυγίων, οἱ δὲ σκευῶν, οἱ δ' ἑταιρῶν
— ἐνταῦθα δὴ ἐπέκειντο **θρασέως** καὶ ἤρχοντο σφενδονᾶν
31 καὶ τοξεύειν. οἱ δὲ Ἕλληνες παιανίσαντες[1] ὥρμησαν

[1] Introd. 100.

أما تسمية «كردستان» بالصيغة المنتهية باللاحقة «ستان» فتعود إلى كونها تعني في اللغات الإيرانية «الأرض» أو «الموطن»، وهي صيغة قديمة تعود إلى اللغات الإيرانية القديمة، مشتقة من الجذر الهندوأوروبي steh الذي يدل على «الوقوف» أو «المقام». وتُنقحر (النقحرة: كتابة لفظ الكلمة الأجنبية بأحرف لغة أخرى) هذه اللاحقة في الدراسات اللغوية بصيغة stān، حيث تشير العلامة فوق الألف إلى مدّ الصوت فيكون نطقها قريبًا من «ستان». ومن هذا الجذر نفسه اشتقت كلمات في لغات هندوأوروبية أخرى، مثل الفعل الألماني stehen بمعنى «يقف»، والإنجليزية stand، واللاتينية statio. وفي اللغات الإيرانية البدائية تطور هذا الجذر إلى صيغة stāna التي أصبحت لاحقًا اللاحقة الجغرافية ستان.

وقد استُخدمت هذه اللاحقة في تسمية الأقاليم التي تسكنها الشعوب، مثل أفغانستان وخوزستان وهندستان، وعلى هذا الأساس فإن تسمية «كردستان» تعني حرفيًا «أرض الكرد». ولهذا لا تظهر بهذا الشكل في المصادر اليونانية القديمة، لأن اللاحقة «ستان» لاحقة إيرانية خاصة باللغات الإيرانية، بينما كان اليونان يطلقون على الأقاليم أسماء الشعوب نفسها. لذلك ورد اسم المنطقة في المصادر الكلاسيكية بصيغ مثل «كاردو» (Carduchoi) للشعب و«كوردوي» (Corduene) للإقليم، وهي التسميات التي تقابل ما عُرف لاحقًا في اللغات الإيرانية باسم «كردستان». وتشير دراسات حديثة في الموسوعة الإيرانية "Encyclopaedia Iranica – "CARDUCHI إلى أن القبائل التي ذكرها زينوفون باسم Carduchoi قد تمثل أحد الأسلاف التاريخيين للشعب الكردي، وهو رأي تبناه عدد من الباحثين في الدراسات الإيرانية.

جدير ذكره هو أنه لم يقتصر ذكر هذا الإقليم الجبلي على زينوفون وحده، بل يظهر أيضًا في كتابات الجغرافيين والمؤرخين في العصرين اليوناني والروماني. فقد أشار الجغرافي اليوناني سترابون المتوفى سنة

23 م في كتابه «الجغرافيا» إلى إقليم باسم «غوردوين (Gordyene) «يقع بين أرمينيا وبلاد الرافدين. إذ جاء ذكره له الكتاب السادس عشر، الفصل الأول من كتابه ما نصه:

Near the Tigris lie the places belonging to the Gordyaeans, whom the ancients called Carduchians; and their cities are named Sareisa and Satalca and Pinaca, a very powerful fortress...

الترجمة:

«بالقرب من نهر دجلة تقع الأراضي التابعة للغورديين(Gordyaeans) ، الذين كان القدماء يسمونهم الكاردوخيين .(Carduchians) ومن مدنهم ساريسا (Sareisa) وساتالكا (Satalca) وبيناكا (Pinaca)، وهو حصن شديد القوة...»

distance from Thapsacus to Babylon, as Eratosthenes states, is four thousand eight hundred stadia; and that from the Zeugma[1] at Commagenê, where Mesopotamia begins, to Thapsacus, is not less than two thousand stadia.

23. The country alongside the mountains is quite fertile; the parts of it near the Euphrates and the Zeugma, both the present Zeugma at Commagenê and the old Zeugma at Thapsacus, are occupied by the Mygdones, who were so named by the Macedonians. In their country lies Nisibis, which is also called Mygdonian Antiocheia; it lies at the foot of Mt. Masius, and so do Tigranocerta and the regions of Carrhae and Nicephorium, and Chordiraza and Sinnaca, in which last Crassus was slain, being treacherously captured by Surena, the Parthian general.[2]

24. Near the Tigris lie the places belonging to the Gordyaeans, whom the ancients called Carduchians; and their cities are named Sareisa and Satalca and Pinaca, a very powerful fortress, with three citadels, each enclosed by a separate fortification of its own, so that they constitute, as it were, a triple city. But still it not only was held in subjection by the king of the Armenians, but the Romans took it by force, although the Gordyaeans had an exceptional repute as master-builders and as experts in the construction of siege engines; and it was for this reason that Tigranes used them in such work. But also the rest of Mesopotamia became subject to the Romans. Pompey assigned to Tigranes

[1] Bridge. [2] 51 B.C.

[3] αὐτῶν, Groskurd, for ὧν; so the later editors.

Strabo Geography, Book XVI, Chapter 1, Section 24

كما ذكر المؤرخ الروماني بلينيوس الأكبر المتوفى سنة 79 م في موسوعته «التاريخ الطبيعي»، وهي موسوعة ضخمة تتألف من 37 كتابًا تناولت موضوعات العالم الطبيعي والجغرافيا والإنسان، إقليم «كوردوين » (Corduene).ويذكر بلينيوس أن سكان هذه المنطقة كانوا يُعرفون قديمًا باسم الكاردوخيين، ثم أصبحوا يُعرفون لاحقًا بالكوردوينيين. أي أنه خلال الفترة الممتدة بين واقعة زينوفون وكتابة بلينيوس، والتي تقارب 480 سنة، يظهر تبدل في صيغة تسمية القوم من «كاردوخ» إلى «كوردوين». ويرى بعض الباحثين في هذا التحول مؤشرًا على استمرارية تطور الاسم عبر العصور حتى الصيغة التي وصل إليها في الأزمنة اللاحقة.

النص الأصلي الذي ورد في الكتاب السادس لبلينيوس الأكبر:

Joining up to Adiabene are the people formerly known as the "Carduchi," now the Cordueni, in front of whom the river Tigris flows: and next to them are the Pratitae, entitled the Par Odon, who hold possession of the Caspian Gates.

الترجمة: «وتجاور بلاد أديابين (Adiabene) قوم كانوا يُعرفون قديمًا باسم الكاردوخيين(Carduchi) ، ويُعرفون الآن بالكوردوينيين(Cordueni) ، ويجري نهر دجلة بمحاذاة بلادهم. ويليهم قوم يُسمَّون براتيتاي(Pratitae) ، ويُعرفون باسمPar Odon ، وهم الذين يسيطرون على الممرات المعروفة ببوابات قزوين».

twenty-eight miles in extent. This narrow pass, too, is rendered still more difficult by a liquid salt which oozes from the rocks, and uniting in a single stream, makes its way along the pass. Besides this, it is frequented by such multitudes of serpents, that the passage is quite impracticable except in winter.

(15.) Joining up to Adiabene are the people formerly known as the 'Carduchi,' now the Cordueni,[47] in front of whom the river Tigris flows: and next to them are the Pratitæ, entitled the *Par Odon*,[48] who hold possession of the Caspian Gates.[49] On the other side[50] of these gates we come to the deserts[51] of Parthia and the mountain chain of Cithenus; and after that, the most pleasant locality of all Parthia, Choara[52] by name. Here were two cities of the Parthians, built in former times for their protection against the people of Media, Calliope,[53] and Issatis, the last of which stood formerly[54] on a rock. Hecatompylos,[55] the capital of Parthia, is distant from the Caspian Gates one hundred and thirty-three miles. In such an effectual manner is the kingdom of Parthia shut out by these passes. After leaving these gates we find the nation of the Caspii, extending as far as the shores of the Caspian, a race which has given its name to these gates as well as to the sea: on the left

[47] This was the name of the wild tribes which occupied the high mountainous district between the great upland of Persia and the low plains of Mesopotamia. In addition to the name mentioned by Pliny, they were called Gordyæ, Cardaces, and Curtii. The present Kurds, inhabiting Kurdistan, are supposed to be descended from them.

[48] The Greek παρ' ὁδὸν, "on the road"—meaning, probably, to the Caspian Gates. Hardouin says that the Pratitæ were so called from the Greek πρατῖται, "merchants."

[49] Although dwelling at a considerable distance, the custody of these gates was delivered to them, Hardouin says, by the kings of Media.

[50] To the south-east of them.

[51] Mentioned in c. 29 of the present Book.

[52] Or Choarene.

[53] Its site is unknown; but it is mentioned by Appian as one of the many towns erected by Seleucus.

[54] By the use of the word "quondam," he implies that in his time it was in ruins.

[55] A place of considerable importance, which seems to have derived its name from its "hundred gates." It was one of the capitals of the Arsacidan princes; but, extensive though it may have been, there is great doubt where it was situate, the distance recorded by ancient writers not corresponding with any known ruins.

Pliny, Natural History, 6.17

تطور الاسم في الدراسات الأوروبية

ومن بعد هذا الذكر القديم العائد إلى ما قبل الميلاد بأربعة قرون، لفت بعض الجغرافيين الأوروبيين بعده بنحو ألفي سنة، ولا سيما منذ القرن السابع عشر إلى التشابه بين اسم «الكاردوخيين» الذين ذكرهم (Xenophon) وبين اسم الكرد. ومن أوائل من أشار إلى ذلك العالم الفرنسي Samuel Bochart المتوفى سنة 1667 في كتابه «Geographia Sacra» الصادر سنة 1646. وبعده بقرنين تناول هذه المسألة في القرن التاسع عشر المؤرخ البريطاني أستاذ التاريخ القديم في أكسفورد جورج راولنسون (George Rawlinson) المتخصص في الآشوريات. إذ ذكرهم بالاسم المباشر دون إشارات وسيطة. إذ كتب في كتابه لفظي «الكرد» و«كردستان» بكل وضوح حين ربط بين الكاردوخيين والقبائل التي سكنت مناطق كردستان، وهو يحمل وزناً أكاديمياً أكبر من كثير من الكتابات الجغرافية العامة. فلقد أشار في كتابه «The Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World» (1862) الذي يعتبر من أهم الدراسات الكلاسيكية عن حضارات الشرق الأدنى القديم من كلديا وآشور وبابل وميديا وفارس، قبل أن يضيف لاحقًادراسات مستقلة عن ممالك أخرى إلى أن الكاردوخيين الذين ذكرهم (Xenophon) كانوا يسكنون الجبال الواقعة شمال بلاد آشور، وهي المنطقة نفسها التي يسكنها الكرد في العصور اللاحقة، وقد رأى أن اسمهم القديم يمكن فهمه على أنه أحد الأسلاف التاريخيين للأكراد.

النص المتوفر بين أيدينا والمستخرج من مشروع جوتنبرغ الذي ينقل النص من نسخ مصورة أصلية محفوظة في مكتبات كبرى مثل Oxford أو Harvard والتي تظهر على Archive.org، هو في الحقيقة كتاب جورج رولنسون: The Seven Great Monarchies of the Ancient Eastern World المطبوع سنة ١٨٦٢م. وفي النص سبع مواضع يتطرق إليها راولنسون بصراحة مطلقة الى الكرد وكردستان بالحرف، وهذه المواضع هي كالتالي:

1. تعريف كوردوين = كردستان

النص: *The word is no doubt the ancient representative of the modern Kurdistan, and means a country in which Kurds dwelt.*

الترجمة: لا شك أن الكلمة "كوردوين" (Cordyene) هي الصيغة القديمة المقابلة لكردستان اليوم، وتعني بلادًا سكنها الأكراد..

2. موقع كردستان قبل زمن زينوفون

النص: *The tract to this day known as Kurdistan ... was in the possession of Kurds frombefore the time of Xenophon, and was known as the country of the Carduchi.*

الترجمة: إن المنطقة المعروفة حتى اليوم باسم كردستان، وهي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب وجنوب شرق بحيرة وان بين بلاد فارس وبلاد الرافدين، كانت في حيازة الكرد منذ ما قبل زمن زينوفون، وكانت تُعرف ببلاد الكاردوخ.(Carduchi)

3. أهمية كردستان الاستراتيجية

النص: *in the hands of Rome Kurdistan became a standing menace to the Persian power.*

الترجمة: وعندما أصبحت كردستان في يد الرومان تحولت إلى تهديد دائم للقوة الفارسية.

4 ذكر رماة الكرد

النص: *guarded by three legions and a large body of Kurdish archers.*

الترجمة: وكانت المدينة محروسة بثلاثة فيالق رومانية وعدد كبير من رماة السهام الكرد.

5 انسحاب الجيش إلى كردستان

النص: *The march was understood to be directed on Cordyene (Kurdistan)*

الترجمة: وكان من المفهوم أن مسار الجيش يتجه نحو كوردوين (كردستان).

6 لجوء الأرمن إلى جبال كردستان

النص: *fled to the mountain fastnesses of Kurdistan.*

الترجمة: فلجأ بعضهم إلى حصون جبال كردستان.

7 حملة رومانية على كردستان

النص: *He sent a force across the Tigris ... which ravaged Kurdistan.*

الترجمة: أرسل قوة عبر نهر دجلة قامت بتخريب كردستان.

كتابه هذا يثبت أربع نقاط جد مهمة: أن Cordyene هي Kurdistan. وأن الكرد كانوا سكان المنطقة قبل زمن زينوفون، أي ما قبل 2400 سنة من اليوم دون تحديد فترة زمينة قد تطول لما لا يمكن تخمينه، قد تعود لأزمان ما قبل حضارات الشرق الأوسط. أو ربما فترة وجيزة لا تذكر لما قبل 2400 ق.م. وأن الكاردوخ المذكورون عند زينوفون هم وحسب رأيه أسلاف الكرد. وأن اسم كردستان مستخدم تاريخيًا في الكتابات الأوروبية.

عاد الجغرافي البريطاني جيمس رينيل (James Rennell) إلى مناقشة هذه المسألة في دراساته عن جغرافية آسيا القديمة، حيث أشار إلى جبال كردستان باسم "Carduchian mountains" وربطها بالشعب الذي ذكره زينوفون باسم الكاردوخيين. وقد أصبحت هذه الدراسات متاحة اليوم في الأرشيفات الرقمية للجامعات والمكتبات العالمية. بل إن جيمس رينيل ذكر اسم كردستان صراحة في كتابه «The Geographical System of Herodotus Examined and Explained» الذي خصصه لدراسة كيفية تصور هيرودوت لشكل العالم والبحار والأنهار، محاولًا بيان المواضع التي كان فيها دقيقًا وتلك التي اعتمد فيها على روايات غير موثوقة، كما حاول فيه الربط بين جبال الكاردوخيين القديمة والجبال التي يسكنها الأكراد في عصره.

ففي الصفحة 269 يكتب: “The pass in question leads from the country of Irak into Al Jebal, or Kurdistan.” أي: «الممر المذكور يقود من بلاد العراق إلى الجبال، أو كردستان.»

Zagros, in lib. v. c. 5.: and both the pass, and Ghilanee are well known, from the travels of Thevenot, Otter, and Abdulkurreem. The pass in question leads from the country of *Irak* into *Al Jebal*, or Kurdistan.

Certain persons amongst the Jews, who were carried into captivity by the Babylonians, were afterwards removed from Babylon, to the province of Susiana. Daniel was one of them. One of his visions was in the palace of *Susban*, or *Susa;* ch. viii. It is worthy of remark, that the practice of the Persian, Median, and Babylonian kings, of referring their dreams to the soothsayers, as we find it repeatedly in the book of Daniel, is also spoken of by Herodotus, as a system.* In Polym. 19, the MAGI (who appear to be the *magicians* of Daniel, ch. iv. ver. 7.), deliver their opinions concerning the meaning of Xerxes' dream, respecting the invasion of Greece: and the interpretation was made known to the national assembly of the Persians. In like manner, the extraordinary dream of *Mandane*, the mother of CYRUS, and her father's dream respecting her; were referred to the MAGI, who are said to be " the usual interpreters;" Clio, 107, 108. Again in c. 110, their opinions are resorted to, on occasion of the disposal of Cyrus. And in a variety of other cases.

The practice of removing tribes of people from one country to another, to accomplish political purposes, has prevailed in all ages. Perhaps, there can hardly be devised a more cruel act of tyranny, when attended with compulsion; since every human creature has an attachment to its native soil and atmosphere; however bad they

* We have a pleasure in remarking, that there are a number of coincidences, between the historical facts in the Old Testament, and in our Author; if we make such allowances, as, from the experience of our own times, are requisite, on the score of misapprehension, and misinformation. Such, amongst other facts, are, the story of SENACHERIB king of Assyria, and the mice (Euterpe, 141.), which is a different reading of that in 2 Kings, xix. and 2 Chron. xxxiii.: the battle of *Magdolum* (Eut. 159.), instead of *Megiddo*, 2 Chron. xxxv. in which the king of Judah, was conquered by the king of Egypt.

الصفحة 269 من كتاب جيمس رينيل The Geographical System of Herodotus Examined and Explained

كلمة "Irak" هنا لا تعني الدولة الحديثة، بل إقليمًا جغرافيًا كان يُعرف عند الجغرافيين باسم عراق العجم أو عراق العرب. أما "Al Jebal" فهو الاسم الجغرافي الإسلامي القديم لمنطقة الجبال في غرب إيران وشمال العراق. لذلك فتركيب الجملة يعني ببساطة: الممر ينتقل من إقليم العراق إلى منطقة الجبال، أي المنطقة التي يسميها كردستان. وفي الصفحة 392 يذكر: The loftiest ridge of the Kurdistan mountains (Carduchian) is named Kiare..." أي: «أعلى سلسلة من جبال كردستان (الكاردوخية) تسمى كياره...»

But Josephus says (Antiq. ix. c. 12, 3.) that they were sent to UPPER MEDIA; that Tiglath Pileser sent a colony of Assyrians in their room; and that at the same time, he afflicted the land of Israel, and took away many captives out of it.

Concerning the removal of the *two tribes and half*, whose country bordered on that of Damascus, about the same time, and by the same king, the following particulars may be collected. In 2 Kings, xv. ver. 29, it is said that "Tiglath Pileser, king of Assyria, took Ijon, and Abel-beth-Maacha, Janoah, Kadesh and Hazor, and Gilead and Galilee; all the land of NAPHTALI, and carried them captive to Assyria." But in the account of the same transaction in 1 Chron. v. ver. 26, it is said that Tiglath Pileser "carried away the REUBENITES, the GADITES, and the half tribe of MANASSEH, and brought them to *Halah*, and *Habor*, and *Hara*, and to the *river* of *Gozan*, unto this day." The chronology of this event is given at 740 years B. C.*

ver. 6, it is mentioned with *Elam*, intended for *Susa*, (and perhaps *Persia*, also)— "*Kir* uncovered the shield."

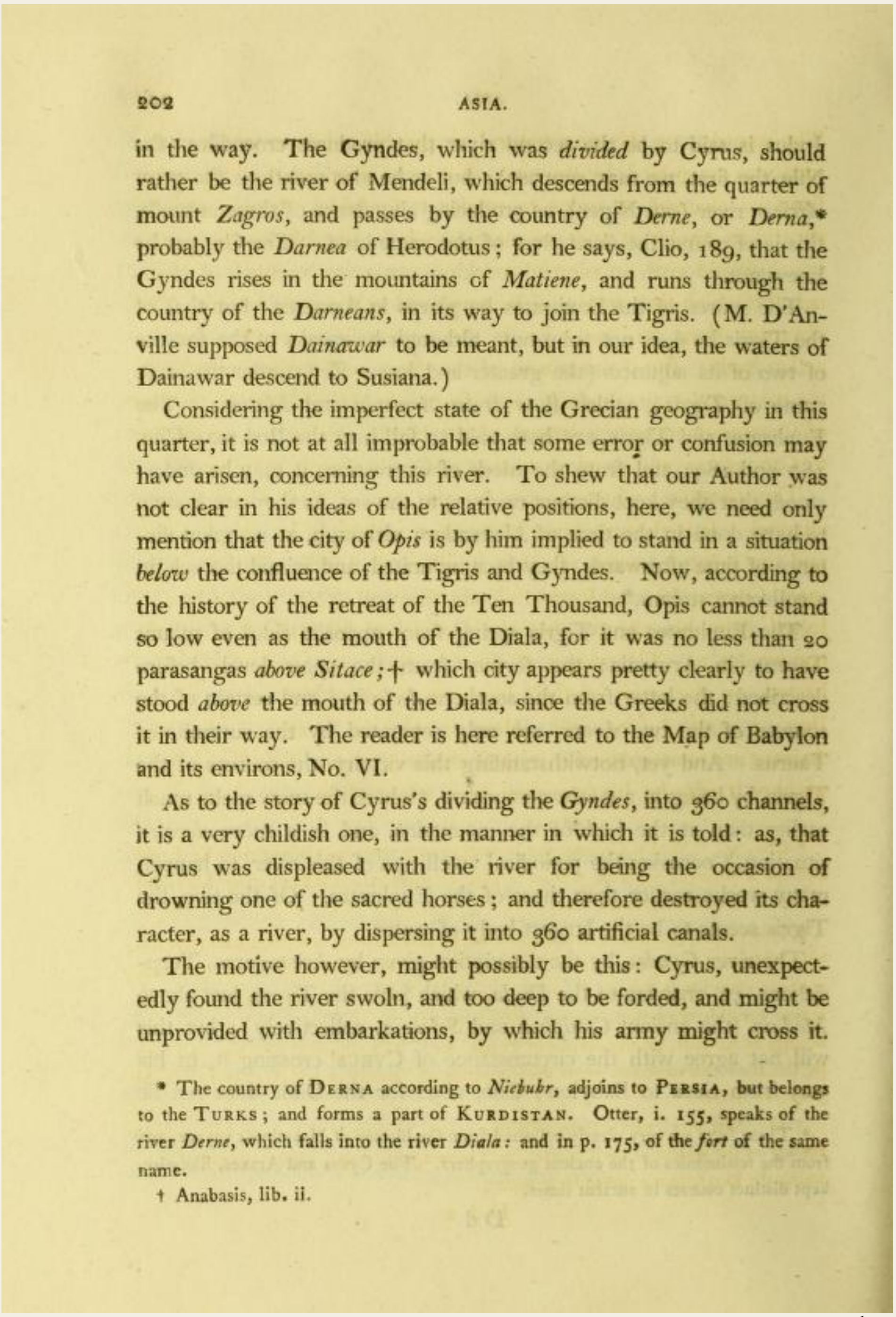
The name Kir is traceable at present in that country. The loftiest ridge of the Kurdistan mountains (*Carduchian*) is named *Kiarè;* according to M. Otter. The province adjacent is named *Hakiari* (Niebuhr); the *Kiouran* tribe of *Kourds*, inhabit the eastern part of Assyria (Otter); *Kerkook*, a large town, and other places of less consequence, have the prefixture *Ker* or *Kir* to them. (Niebuhr). It is possible that the name of the *Carduchian* people, may have had the same root.

* It may be observed, that *Naphtali* is omitted in the latter reading; *i. e.* in the Chronicles; and this should seem to be the most correct; for Tobit, who was of the tribe of Naphtali, was carried away, not by Tiglath Pileser, but by Shalmaneser; if, as no doubt, is the case, he is intended by Emanassar, in Tobit, ch. i: for Sennacherib was the successor of the latter, in Tobit; as of the former, in other parts of the Bible.

Pul is also mentioned in the same verse, (*i. e.* the 26th of the fifth chapter of the 1 Chron.) which alludes to an earlier transaction, mentioned in 2 Kings, xv. ver. 19. and is to this effect; that *Pul* (the *Sardanapalus* of Herodotus, no doubt) king of Assyria, invaded Israel, under the reign of Menahem, (B. C. 773.) when the latter gave to the king of Assyria 1000 talents of silver, to insure his protection.

الصفحة 392 من كتاب جميس رينيل The Geographical System of Herodotus Examined and Explained

وبالإضافة إلى هذين الموضعين في متن الكتاب، يذكر رينيل اسم كردستان أيضًا في حاشية سفلية في الصفحة 202، حيث يقول: "The country of Derna according to Niebuhr, adjoins to Persia, but belongs to the Turks; and forms a part of Kurdistan." أي: «بلاد درنة، بحسب نيبور، تجاور بلاد فارس، لكنها تتبع الأتراك (أي الدولة العثمانية الحاكمة للمنطقة)، وتشكل جزءًا من كردستان.»



202 ASIA.

in the way. The Gyndes, which was *divided* by Cyrus, should rather be the river of Mendeli, which descends from the quarter of mount *Zagros*, and passes by the country of *Derne*, or *Derna*,* probably the *Darnea* of Herodotus; for he says, Clio, 189, that the Gyndes rises in the mountains of *Matiene*, and runs through the country of the *Darneans*, in its way to join the Tigris. (M. D'Anville supposed *Dainawar* to be meant, but in our idea, the waters of Dainawar descend to Susiana.)

Considering the imperfect state of the Grecian geography in this quarter, it is not at all improbable that some error or confusion may have arisen, concerning this river. To shew that our Author was not clear in his ideas of the relative positions, here, we need only mention that the city of *Opis* is by him implied to stand in a situation *below* the confluence of the Tigris and Gyndes. Now, according to the history of the retreat of the Ten Thousand, Opis cannot stand so low even as the mouth of the Diala, for it was no less than 20 parasangas *above Sitace*;† which city appears pretty clearly to have stood *above* the mouth of the Diala, since the Greeks did not cross it in their way. The reader is here referred to the Map of Babylon and its environs, No. VI.

As to the story of Cyrus's dividing the *Gyndes*, into 360 channels, it is a very childish one, in the manner in which it is told: as, that Cyrus was displeased with the river for being the occasion of drowning one of the sacred horses; and therefore destroyed its character, as a river, by dispersing it into 360 artificial canals.

The motive however, might possibly be this: Cyrus, unexpectedly found the river swoln, and too deep to be forded, and might be unprovided with embarkations, by which his army might cross it.

* The country of DERNA according to *Niebuhr*, adjoins to PERSIA, but belongs to the TURKS; and forms a part of KURDISTAN. Otter, i. 155, speaks of the river *Derne*, which falls into the river *Diala*: and in p. 175, of the *fort* of the same name.

† Anabasis, lib. ii.

الصفحة 202 من كتاب جميس رينيل The Geographical System of Herodotus Examined and Explained

أي أن تلميذ سقراط زينوفون كان قد وصف منطقة تعرض فيها جيشه للهجمات، فعرفها باسم «كاردوخيا» بوصفها موطنًا «للكاردوخ». وبذلك يمثل هذا الوصف أحد أقدم التسجيلات التاريخية المفصلة لشعب يُربط لاحقًا بالكرد، لا ذكرًا عابرًا لهم، كالتي ترد في إشارات أقدم منها بنحو ألف عام في نصوص آشورية ذكرت جماعات جبلية بأسماء مثل "كاردو" أو "كورتي".

وخير مثال على اختلاف تسمية الكاردوخ عن تسمية الكرد، رغم نسبة التسميتين للشعب الواحد عبر التاريخ هو اختلاف التسميات ما بين ألمانيا وشعبها وتسمياتها الحالية المتعددة. فوقت أن الشعب الألماني بعد توحد ولاياته الست عشرة في العصر الحديث والتي كانت كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى سياديًا رغم العرق الواحد يسمي نفسه بـ«دويتش» (Deutsch) نسبة إلى «دويتشلاند»، بلاده التي تعني «أرض الشعب»، وهي تسمية تطورت من اللفظة الجرمانية القديمة "diutisc" التي تعني «لغة الشعب»، وهي التي اختارها لنفسه تسمية. في حين سماهم الجيران الأوروبيون بـ«جرمان» (German) نسبة إلى لغتهم الجرمانية، وهي فرع مستقل ضمن عائلة اللغات الهندوأوروبية الواردة في المخطط السابق إرفاقه في الكتيب هنا.

كما ويسميهم غيرهم بـ«ألمان» (Alleman) نسبة إلى قبيلة جرمانية كانت تسمى بـ"Alemanni"، وهي التسمية التي انتشرت لاحقًا في اللغات الرومانسية، فظهرت مثلًا في الفرنسية بصيغة "Allemagne"، وفي الإسبانية "Alemania"، وفي البرتغالية "Alemanha".

كما ويطلق الفنلنديون اليوم على ألمانيا اسم "ساكسا" (Saksa)، وعلى الألماني "ساكسالانن" (saksalainen)، بينما الإستونيون فيطلقون على ألمانيا اسم "ساكساما" (Saksamaa)، ويقولون عن الألماني "ساكسلانه" (sakslane). فالتسمية تعود تاريخيًا إلى كلمة "Saxons" (الساكسون) كتسمية لإحدى الولايات، لأن الألمان الذين تعامل معهم سكان البلطيق وفنلندا في العصور الوسطى كانوا غالبًا من مناطق ساكسونيا الحالية. أما الأغرب على الإطلاق من بين غرابة التغييرات في التسميات فهي تسمية بعض الشعوب السلافية للألمان، مثل بولندا بتسمية "نيمسي" (Niemcy).

وهي كلمة تعني «من لا يُفهم كلامه»، بالترجمة الحرفية «الخُرس»، أي جمع «أخرس»، مستمدين للألماني اسمًا من صعوبة لغته. وهذا تمامًا ما جعل اسم جمهورية "النمسا" الناطقة بالألمانية يصلنا عبر العثمانيين الذين نقلوا لنا نحن في الشرق التسمية السلافية ذاتها، وقت أن الأوروبيون يطلقون عليها تسمية "آوستريا" (Austria) المشتقة من الكلمة الألمانية «Österreich»، المركبة من "Ost" بمعنى الشرق و"Reich" بمعنى المملكة، أي «المملكة الشرقية» نسبة إلى شرق الإمبراطورية الجرمانية التي امتدت من أقصى حدود فرنسا. فتغيرت أسماء الشعوب عبر التاريخ حسب ما أطلق عليهم شعوب غيرها عاصروها.

إذ إن للتسمية أصولها وتغيراتها عبر الزمن وتأثرها بالشعوب الأخرى وكيفية تسميتهم لهم. وهذا حصل مع شعوب أخرى غير الشعب الكردي؛ فالشعوب المنتمية إلى العائلة الآرية سُمّيت عبر التاريخ بأسماء مختلفة غير ما تسمي به نفسها. وهذه الظاهرة في اختلاف تسمية الشعوب باختلاف اللغات والشعوب المجاورة أمر شائع في التاريخ. ومنها ما أطلقه زينوفون على من يعتبرهم بعض الباحثين كأسلاف للكرد بـ«كاردوخ»، ومن قبله بألف سنة حين أسماهم الآشوري بـ«كاردو».

وعلى أساس مشابه لتطور التسميات عبر العصور، فإنه تمامًا كما سمّى العثماني أرض جيرانه "الشرق" بالنمسا، والسلافي سمى الألماني "الأخرس" بنيمسي؛ هذا ما حدث في تسمية الشعب الكردي عبر التاريخ. بل يرى بعض الباحثين أن أقدم أثر لاسم قريب قد يكون ورد في نص سومري من الألف الثالث قبل الميلاد باسم "كار-دا"، وهو اسم يرى بعض الدارسين أنه قد يكون مرتبطًا بجماعات "كورتي" التي ذكرتها النقوش الآشورية لاحقًا، ولكن في هذا الشأن محل خلاف لا رأي يوحد الدارسين. ولكن الموثق من الذكر ما ورد في النقوش الآشورية، ومنها نقوش عهد الملك تغلات-بلاسر الأول في الألف الأول قبل الميلاد (حوالي ١١٠٠ ق.م)، بأسماء مثل "كاردو" و"كورتي"

() (Qardu/Kurti).

إن الذكر الموثق للقبائل التي عُرفت لاحقًا بالكرد، من شعوب ما يعرف اليوم بالشرق الأوسط، يُعد .من أقدم الإشارات في النقوش التاريخية إلى جماعات ما تزال أسماؤها قريبة من تسمياتها اللاحقة وتظهر هذه الأسماء في النقوش الآشورية قبل عدة قرون من ظهور اسم الفرس واسم العرب فيها، وإن كان تفسير بعض هذه التسميات، مثل «كردو» الوارد في تلك النقوش، محل نقاش بين الباحثين، إذ قد يُحمل أحيانًا على دلالة وصفية لا اسمًا عرقيًا صريحًا، .قد يكون الشعب سمي بالصفة تلك مع غياب ذكر الترك كونهم سكنوا المنطقة بألف وسبعمئة سنة بعد سقوط آشور على يد الميديين والبابليين. فالاستقرار التركي الواسع في الأناضول حدث تحديدًا بعد معركة ملاذكرد سنة 1071 م، عندما انتصر السلاجقة على البيزنطيين. فسميت الأناضول تلك في العهد الحديث بتركيا، تيمنًا بأصولهم المنحدرة من الشعوب التركية في أواسط آسيا.

فوقت ذكر "كاردو" بألف ومئة عام قبل الميلاد، تظهر بعد ذلك بعدة قرون في النقوش الآشورية تسمية: Parsua / Parsumaš في نصوص ملوك مثل آشور ناصر بال الثاني وشلمنصر الثالث (القرن التاسع ق.م) وهذه التسمية يربطها المؤرخون عادة بأسلاف الفرس.

كذلك ذكر قبائل صحراوية يربط بعض الباحثين بينها وبين الأشكال الأولى لأسماء العرب. وأقدم ذكر معروف لها يرد في النقوش الآشورية هو في عهد الملك شلمنصر الثالث في القرن التاسع قبل الميلاد (حوالي 853 ق.م)، أي بعد نحو مئتين وخمسين سنة من ذكر نقوش عهد الملك الآشوري تغلات-بلاسر لأسلاف الكرد، حيث يظهر اسمهم بصيغة «أريبي» أو «أروبو» (Aribi/Arubu) في سياق ذكر قبائل صحراوية شاركت في تحالفات بقيادة الملك «جندبو» الذي كان يحكم منطقة دومة الجندل (في الجوف شمال السعودية حاليًا)، وهي مركز تجاري مهم على طريق القوافل. وكان حليفًا لملك الآراميين في دمشق، وقد قاتلا معًا ضد الآشوريين، إذ كانت منطقة دومة الجندل تقع على الطريق التجاري وكانت هدفًا للآشوريين للسيطرة عليها وتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية. لذلك سعى ملك مملكة قيدار، التي ينسب بعض الباحثين اسمها إلى قيدار بن إسماعيل، إلى التخلص من الخطر الآشوري عبر المشاركة في الحلف الآرامي الإسرائيلي في معركة قرقر شمال غرب سوريا حاليًا.

إن استبعاد الذهن أن يكون ثمة شعوب أقدم ذكرًا من العرب قد يعود في جانب منه إلى أثر المكانة الدينية التي ارتبطت بهم لاحقًا مع ظهور الإسلام، إذ عرفتهم البشرية من خلال تلك الرسالة، فصار الإنسان يميل إلى تصور أن حضورهم في التاريخ قديم قدم معرفة البشر بالدين نفسه، الذي يمتد في المخيال إلى عصور الأنبياء والبشرية الأولى، رغم أن الدراسات الأكاديمية للنقوش والآثار تشير إلى ظهور أسماء شعوب أخرى سبقتهم في النقوش بآماد بعيدة.

فثمة باحثون يرجحون أن يكون "كاردو" الذين ذكرهم الآشوريون في نصوصهم هم كرد اليوم، وأن "آرابي" عرب اليوم، وخصوصًا نقوش الآشوريين نفسها توثق وجود شعوب قاتلوهم.

وكذلك لا تذكر المصادر في ذلك السياق أسماء شعوب أخرى واضحة غير هذه التسميات، وهو ما جعل كثيرًا من الباحثين يرون أن هذه التسميات لسكنة الشرق الأوسط في تلك العصور من الذين حاربوا الآشوريين تمثل على الأرجح الأشكال الأقدم للأسماء التي عُرفت لاحقًا بالكرد والعرب.

ثم جاء اليونان لاحقًا باسم وذكر من يعتبرون أسلافًا للكرد حسب الباحثين «الكاردوخ» (Carduchoi) تأثرًا بتلفظهم ومخارج الحروف لديهم. كما ذُكروا في المصادر الرومانية باسم كوردوين أو غوردوين (Corduene/Gordyene). وبالطبع فإن اللغة العربية المكتوب بها هذا الكتيب تبين هذه الاختلافات، فالاستعمال العربي نفسه شاهد على اختلاف تسمية الأقوام بعضها لبعض؛ إذ إن العربية تستخدم جمع التكسير لكلمة "كردي" فتقول "أكراد" (Akrad)، وقت ينادي الكردي ذاتيًا بالكرد. فهكذا انتقال لفظي عبر الزمن هو تسلسل صوتي طبيعي جداً في علم اللسانيات التاريخي.

إن التعدد في التسميات عبر التاريخ السحيق لم ينل من جوهر الاسم الذي ظل قائماً لليوم: «الكرد». ليظل هذا الاسم حاضرًا في الاستعمال. بخلاف شعوب أخرى لم تكن مسألتها مسألة "تغيير تسمية"، بل كانت مسألة "اندثار حضاري"، مثل حضارات السومريين والبيزنطيين والقوطيين والحيثيين والمايا؛ فهؤلاء لم تتبدل أسماؤهم فحسب، بل تبدل عرقهم ولغتهم ودينهم وثقافتهم، حتى ذابوا في هويات جديدة ولم يتبق منهم إلا آثارًا تُدرس في الجامعات كعرق مر على الكوكب في زمن غابر.

واللافت هو ظهور هذه التسميات التاريخية متعاقبة في نفس الحزام الجبلي الممتد بين أعالي دجلة وزاغروس، من النقوش الآشورية التي ذكرت جماعات باسم «كاردو» و«كورتي»، إلى وصف زينوفون للكاردوخيين، ثم تسمية الإقليم في المصادر الكلاسيكية «كوردوين»، وصولًا إلى الاسم الحديث «كُرد». وهو تسلسل لغوي وجغرافي يلفت انتباه عدد من الباحثين حين يعتمدون على ما يسمى "استمرارية اسم الجماعة" بوصفه مثالًا على استمرارية الاسم في نفس البيئة الجبلية عبر العصور.

ضرب مثال على الاندثار هو سكن السومريين لسهول ميزوبوتاميا المنبسطة، فكان من السهل أن يطغى عليهم لسان الغازي وصهرهم في هويات الوافدين الجدد، والآخرون مثلهم في ظروف غيرها. أما الكرد وبحكم سكناهم الجبال، جعل صهرهم في هوية أخرى، سواء كانت فارسية أو تركية أو عربية أمراً أكثر صعوبة تاريخياً. فظلت الهوية الكردية محافظة على وجودها من الاندثار منذ عهد "كاردوخيا" زينوفون حتى يومنا هذا.

ورغم جبلية بعض الشعوب الأخرى، غير أنهم اندثروا بعد أن اندمجوا مع الشعوب الأخرى وذابت هوياتهم في هوياتها. والأقرب إلى الحالة الكردية فهم التراقيون؛ أولئك الذين سكنوا شرق البلقان بين جبالها وبحارها الثلاثة، والذين وصفهم "هيرودوت" بأنهم من أكبر شعوب الأرض عدداً لو استطاعوا الاتحاد، إذ عُرفوا بتعدد قبائلهم المقاتلة وشدة بأسهم في الحروب، لكنهم مع مرور الزمن والفتح الروماني اندمجوا تدريجياً في شعوب أخرى. وفي المقابل برز الإيليريون في غرب البلقان على سواحل الأدرياتيكي، في مناطق ألبانيا وكرواتيا والبوسنة الحالية، وهم الذين يُعتقد اليوم أنهم الأسلاف المحتملون للألبان تمامًا كالكاردوخ من الأكراد.

كردستان في الخرائط التاريخية

لم يكن ذكر الكرد قد كتبه المفكرون وحدهم عبر التاريخ، كتلميذ سقراط زينوفون عمن اعتبرهم المؤرخون أسلافًا لهم، بل رسم جغرافيون ومؤرخون خرائط ظهرت عليها مواطنهم. ومنها ما ورد فيه ذكر الأكراد في المصادر الإسلامية والعثمانية. ومن أقدمها ما أشار إليه المؤرخ محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري المتوفى نحو 1102 م، وهو عالم لغوي تركي من مدينة كاشغر، اختص بأنساب الترك ولغاتهم. وقد نُشرت خريطته ضمن كتابه الشهير «ديوان لغات الترك»، الذي ألّفه بين عامي 1072 م و1074 م، وقدمه إلى الخليفة العباسي في بغداد نحو سنة 1074 م. وتشير خريطته إلى موضع «أرض الأكراد».

خريطة الكاشغري دائرية على شكل قرص الأرض، مركزها آسيا الوسطى (مدينة بالاساغون في قيرغيزستان الحالية كمركز العالم التركي)، وتُظهر العالم المعروف آنذاك من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً.

التسمية الدقيقة أوردها في الجزء الجنوبي الغربي من الخريطة، مكتوبة بالعربية "أرض الأكراد" (Arḍ al-Akrād)، وتقع بين "أرض الشام" (سوريا) و"أرض العراقين" (العراق العربي والعجمي). وإعطاؤه اسم "أرض الأكراد" مجاوراً للعراقين دليل قوي على التمييز الجغرافي والعرقي للأكراد كشعب متميز عن العرب والفرس (العجم)، وأنهم ليسوا مجرد "قبائل متفرقة" بل لهم منطقة محددة. وهذا يُعتبر أقدم إشارة جغرافية مرئية لاسم "الكرد" كمنطقة أو شعب على خريطة.

أما لفظة "الأكراد" المستعملة من اللسان العربي، فإن في قواعد اللغة العربية التي كتب بها الكاشغري كتابه هذا، صيغة جمع التكسير، والتي استعملها للتسمية الذاتية "كرد" حين أشار إلى أرضهم بـ"أرض الأكراد". وهناك ظاهرة هي اختلاف وقع الاسم الواحد على البعض من أبناء الشعب نفسه في لغات معينة باختلاف السياق التاريخي والظروف التي عاشها، والتي تكون غالبًا سياسية، ما يجعله يشعر بالازدراء أحيانًا حيال تسميته من ق بذلك الاسم، وإن كانت الكلمة المطلقة عليه سليمة لغويًا. فتكون للكلمة دلالات سلبية إذا ارتبطت بخطاب سياسي أو صراعات تاريخية.

ومن الأمثلة عليها في الحالة الكردية هو وقوف بعض القوميين الكرد في العصر الحديث أمام تسمية الشعب الكردي من قبل العرب بكلمة "أكراد" التي تعتبر الأصح نحويًا بلغة العرب، كون لفظة "كرد" تُفهم خطأ على الجمع وهي في الأصل اسم جنس مفرد، وهذا سر الالتباس. إذ يُعد ذلك جمع تكسير لكلمة "كرد". فتستعمل العربية لفظة "كرد" اسمًا للجنس للدلالة على هذا الشعب، ثم تجمعه على صيغة التكسير الأكراد، مثل كلمة "قوم" المفردة، والدالة على مجموعة من البشر، فيكون جمعها "أقوام"، أو "قبائل" التي يكون مفردها "قبيلة"، رغم كونها مجموعة من مجاميع اجتماعية تتعدى آلاف الآلاف من الناس. ومثلها أنباط وأجرام وأسوار ونحو ذلك.

والذي يجعل الكثير من الأكراد، الذين لا يهتمون بقواعد اللغة العربية بقدر ما يهتمون بالنسق الخطابي، يفضلون استعمال الاسم الأقرب إلى التسمية الذاتية وهو «الكرد»، رغم سلامة اللفظين. إذ لا يعود ذلك إلى خلل لغوي في الكلمة العربية نفسها، بل إلى تأثير السياقات التاريخية والسياسية التي استخدمتها الحكومات العربية الحاكمة للمناطق الكردية، في عبارات ظلت عالقة في المخيال الكردي كتهمة وازدراء مثل: «المخربون الأكراد»، «العصاة الأكراد»، «الانفصاليون الأكراد»، «تمرد الأكراد»، أو «مشكلة الأكراد». فصارت لدى هذه الفئة من الناس لفظة «الأكراد» تحتكر الشعور السلبي.

كما لا يصح قياس لفظ «الأكراد» على لفظ «الأعراب» في العربية إن تحسس أحدهم منها. فبينما أصبح لفظ «الأعراب» في الاستعمال التاريخي يدل على فئة اجتماعية محددة من العرب وهم سكان البادية، فإن لفظ «الأكراد» في المصادر العربية الكلاسيكية لم يحمل مثل هذا التمييز، بل استُعمل ببساطة جمعًا عربيًا لاسم القوم الواحد «كرد». وبرهان هذا النحو هو ما ذكره الجغرافي الإسلامي ياقوت الحموي في

كتابه «معجم البلدان» حين قال في وصف هذا القوم: «كُرْد: بالضم ثم السكون، ودال مهملة، بلفظ واحد الأكراد اسم القبيلة». ولفظة "واحد الأكراد" هنا بمعنى "المفرد من الأكراد" برهان من القرن السابع الهجري. وهذه الظاهرة غير محصورة في هذا الركن من العالم، بل هناك أمثلة مشابهة، كالمعروفة في أوروبا. إذ أن الصيغة الصربية «شيبتار Šiptar» استُعملت في بعض مراحل التوتر القومي في البلقان للدلالة على الألبان بنبرة ازدراء، رغم أن الاسم الذاتي للشعب الألباني هو «شكيبتاريه Shqiptarë».



خريطة محمود الكاشغري في كتاب « ديوان لغات الترك»

ومن بعده جاء من علماء المسلمين الجغرافي الشهير ياقوت الحموي الآنف ذكره المتوفى سنة 1229 م، ليشير في كتابه المهم «معجم البلدان» بمواضع كثيرة منه إلى بلاد الأكراد بوصفها إقليمًا جبليًا يمتد في نواحي الجبال بين العراق وأرمينية، وهو وصف ينسجم مع ما ذكره الجغرافيون قبله وما ظهر لاحقًا في الخرائط الأوروبية. ومن إحدى المواضع في كتابه ما ورد عن «داسن»، المنطقة التي تشتهر بها تسمية دهوك حين يقال في حقها: "دهوك الداسنيين" إذ أن دهوك هذه مسقط رأسي مؤلف الكتيب هذا، حين قال: «داسن: بالنون: اسم جبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي، فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية».

إن المواد التي يوردها ياقوت الحموي في معجمه تقدم صورة جغرافية واضحة لانتشار الأكراد في العصور الإسلامية الوسطى. إذ وصف وجودهم في زوزان وأربيل وشهرزور وديار بكر والجزيرة الفراتية، كما أشار إلى امتدادهم نحو جبال فارس وخراسان. وتدل هذه الشهادات على أن الوجود الكردي كان يشكل حزامًا جبليًا واسعًا يمتد عبر شمال العراق والجزيرة والجبال الواقعة بين أرمينيا وفارس.

وتقدم هذه النصوص تصورًا جغرافيًا لجماعات كردية منتشرة في هذه المناطق منذ القرون الأولى للهجرة وحتى زمن ياقوت في القرن السابع الهجري.

جدير ذكره أن الحموي لم يدرج في كتابه ما تحقق منه بشخصه فحسب، بل أغلب ما في الكتاب هو نقل منه لمن سبقوه بأزمان، تمامًا كما أفعل هنا في كتيبي هذا ناقلًا عنه ما قرأت له ولغيره، يتقدمهم زينوفون. وهذا دليل على أن ذكر هذا الشعب قد سبق العصور الإسلامية الأولى كعهد ياقوت.

وفيما يلي نماذج من المواد التي ذكر فيها ياقوت الحموي الأكراد في كتابه معجم البلدان:

406 أربل

«إربِل مدينة من نواحي الموصل، وأكثر أهلها أكراد»

وهذا وصف واضح لمدينة كبيرة كانت في زمن ياقوت ذات غالبية كردية.

6107 زوزان

«زوزان كورة واسعة بين أرمينية وأذربيجان والموصل وديار بكر، وفيها طوائف من الأكراد»

هذه العبارة تربط الأكراد مباشرة بالمنطقة الجبلية الواقعة بين أرمينيا والجزيرة.

7360 شهرزور

«شهرزور كورة واسعة بين أربيل وهمذان، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد»

هذه شهادة تصف إقليمًا كاملًا بأنه كردي.

وهذه الأمثلة الثلاثة ليست إلا نماذج من مواد عديدة يذكر فيها الأكراد في مواضع مختلفة من كتابه «معجم البلدان». فقد ورد ذكرهم في تسعٍ وعشرين مادة أخرى تصف مدنًا وأقاليم تقع في نطاق جبلي واسع بين الجزيرة الفراتية وأذربيجان وفارس. وقد جُمعت هذه المواضع الجغرافية واستُخرجت بوصفها معطيات من نصوص ياقوت، ثم وُضعت على خريطة واحدة لإظهار المجال الجغرافي الذي تشير إليه هذه المواد.



توزيع المواضع الجغرافية التي ورد فيها ذكر الأكراد في مواد «معجم البلدان» لياقوت الحموي

بالإضافة إلى محمود الكاشغري وياقوت الحموي، فقد أنشأ السلطان السلجوقي سنجار إقليمًا إداريًا باسم «كردستان»، وغالبًا ما يؤرخه الباحثون إلى حوالي سنة ١١٥٠ م، وكانت عاصمته مدينة بهار قرب همدان، يتضمن مناطق واسعة من جبال زاغروس. ومن أهم المدن التي تُذكر ضمنه في المصادر: همدان ودينور وكرمنشاه وشهرزور. أي المنطقة الواقعة بين العراق وجبال زاغروس وغرب إيران. غير أنها لم تتحول إلى رسم واضح على الخرائط كما في الكارتوغرافيا الأوروبية إلا متأخرًا نسبيًا. وغيرهم الكثير، إلا أننا نكتفي بهذا القدر لما فيه من كفاية ووضوح.

أما أوروبيًا، ظهرت في أواخر القرن السادس عشر كلمة "*Curdi*" جنوب أرمينيا قرب ديار بكر، وهي الصيغة اللاتينية التي استخدمها الجغرافيون الأوروبيون للدلالة على الأكراد، كما في خريطة الرحالة الهولندي يان هويغن فان لِنشوتن الصادرة سنة ١٥٩٦، إذ أن كان الجغرافيون في القرن السادس عشر في الخرائط الأوروبية غالبًا ما يضعون أسماء الشعوب بدل أسماء الأقاليم.



خريطة الهولندي يان هويغن فان لِنشوتن المنشورة سنة ١٥٩٦

أما للدلالة على الموطن فأهمها هي خريطة الفرنسي ألان مانيسون ماليه المنشورة سنة ١٦٨٣ ضمن عمله الخرائطي الضخم «Description de l'Univers»، حين وصف البقعة الجغرافية بوصف مهيب حين كتب بالفرنسية: " ROYAUME DE CVRDISTAN" أي "مملكة كردستان"، إذ وضع هذا المسمى ببنطٍ عريض محتضناً في قلبه حواضر كبرى مثل ديار بكر وبقية المدن الكردية التاريخية كالعمادية ووان وأورفه وغيرها، ليميزها كإقليم جغرافي قائم بذاته بجوار العراق الذي كتبها بـ"ياراك" (YERACK)، وجوار بلاد فارس وسوريا والأناضول (Natolie).

يشير ذلك إلى رسوخ الاصطلاح الجغرافي الإثني في المخيلة الكارتوغرافية الأوروبية في أواخر القرن السابع عشر. كما استخدمت الخرائط الأوروبية القديمة هذه التسميات الجغرافية مثل ياراك (العراق) فارس والأناضول وسوريا إلى جانب مملكة كردستان، التي كانت مكتوبة بنفس حجم تلك الأسماء، ما يعكس إدراك الأوروبيين لوجود الكرد ككيان إثني وجغرافي مستقل، حاله حال الآخرين. أي أن مصطلح "كردستان"كان حقيقة جغرافية ومعطىً بديهياً لدى الجغرافيين الأوروبيين قبل ظهور القوميات الحديثة بقرنين.

فوفق ما كان شائعًا في النقحرة الأوروبية آنذاك، في اللاتينية والفرنسية القديمة التي سادت القرن السابع عشر، لم تكن الحروف العربية تُنقل كما هي اليوم. بل كان حرف '**C**' هو المستخدم للتعبير عن صوت 'الكاف' في الأسماء الشرقية، بينما كان حرف 'V' يُكتب ليمثل صوت '**U**'. فإن رسم "**CVRDISTAN**" يُقرأ صوتيًا "Kurdistan". أما اسم العراق الذي ورد على الخريطة إلى جوار كردستان، فقد ظهر بصيغة "YERACK" نتيجة نظام نقحرة صوتي فريد، حيث استُخدم حرف '**Y**' لتمثيل صوت 'العين' أو 'الهمزة' في بداية الكلمات لافتقار أبجديتهم لهذا الصوت، وحرف '**K**' في النهاية لتمثيل حرف 'القاف' العربي. وهكذا تظهر لنا "مملكة كردستان" و"العراق" في تلك الخرائط كحقائق لسانية وجغرافية وُثقت بأدوات عصرها في إشارة واضحة لاستقلالية كل بقعة عن الأخرى، تمامًا مثل توثيق سوريا الى جوار العراق وغيرها من البلدان.



خريطة الفرنسي ألان مانيسون ماليه المنشورة سنة ١٦٨٣

لم يكن ماليه هو الأوروبي الوحيد الذي أشار إلى كردستان صراحة على خرائطه، إنما يعتبر الأقدم ممن لحقوه ممن أشاروا إليها مثله، مثل يوهان بابتيست هومان المتوفى سنة ١٧٢٤ ، أو الألماني هاينريش كيبرت المتوفى سنة ١٨٩٩ م، والذي يعتبر أدق جغرافيي عصره، وكان يخرج في رحلات ميدانية، مما يعني أن رسمه لـ "كردستان" لم يكن من قبيل التخمين، بل نتيجة مسح جغرافي وإثني دقيق.



خريطة الألماني هاينريش كيبرت المنشورة في ١٩١٦

إن غياب كردستان عن الخريطة اليوم، بعد أن كانت حاضرة عليها في خرائط العصور السابقة، يعود إلى الحرب العالمية الأولى حين أعادت القوى المنتصرة رسم خريطة المشرق، فظهرت الحدود الحديثة لدول مثل العراق وتركيا وسوريا، مع بقاء إيران قائمة بحدودها تقريبًا. وقد نتج عن هذا التقسيم أن أصبح الكرد بلا دولة، رغم أقدمية استيطانهم للأرض.

اللافت في الأمر هو أن الخريطة الأوروبية نفسها تغيرت بتغير المصالح السياسية بين خريطة آلان ماليه لعام ١٦٨٣ م وخريطة سايكس وبيكو سنة ١٩١٦ م التي غاب عنها كيان الأكراد التاريخي. فمنذ خريطة محمود الكاشغري، مرورًا بخرائط الجغرافيين الأوروبيين، ظلت «أرض الأكراد» حاضرة على الخرائط لما يقارب ثمانية قرون، شأنها شأن بقية الأقاليم التي حملت أسماء شعوبها، إلى أن تبدلت التوازنات السياسية سنة ١٩١٦م لتختفي كواحدة من خمسٍ لتبقى أربع.

ما لفت انتباهي بعد الانتهاء من الدراسة المستفيضة، وحين الوصول إلى نهاية مبحثي، كيف أن «الكردي» قد بقي أمام الزمن دون اندثار مثل «السومري»، ولا اندماج مثل «الإيليري» و«التراقي»؛ وأنهم عبر صمودهم في جغرافيا "كاردوخيا" الوعرة، خلقوا شخصية نأت بنفسها عن الذوبان في الإمبراطوريات المتعاقبة، سواء كانت أخمينية أو ساسانية أو غيرها والى يومنا هذا. وإن ذكر زينوفون للكاردوخ كقوم "لا يخضعون للملك الفارسي" هو شهادة تاريخية مبكرة على أن الكردي كان ذو نزعة استقلالية متجذرة في التكوين السيكولوجي والاجتماعي لهذا الشعب منذ فجر التدوين التاريخي.
فسواء سماه الآشوري «كاردو» قبل ٣٠٠٠ سنة، أو تلميذ سقراط «كاردوخ» قبل ٢٤٠٠ سنة، أو ذكره الكاشغري قبل ألف سنة، أو رسمه الجغرافي الفرنسي ماليه على خريطته قبل ٤٠٠ سنة، أو حتى غاب ذكره على الخريطة، يظل حاملًا للخريطة الكردية في داخله عميقًا دون ضياع.

ديمومة المجتمعات الجبلية

تشير دراسات الجغرافيا البشرية إلى أن المناطق الجبلية الوعرة كثيراً ما تحافظ على قدر أكبر من الاستمرارية السكانية عبر العصور. فالاستمرارية الديموغرافية في هكذا مناطق هي قاعدة يستخدمها علماء التاريخ والجغرافيا البشرية لتفسير بقاء بعض الشعوب في نفس الموطن عبر قرون طويلة. فهم يذهبون إلى كون الجبال عادةً أقل تعرضًا للهجرات الجماعية والاستبدال السكاني مقارنة بالسهول والطرق التجارية. فالإمبراطوريات عندما تتوسع تسيطر أولًا على السهول والأنهار والمدن الكبرى، كونها مفاتيح التجارة والضرائب. أما المناطق الجبلية الوعرة فغالبًا ما تبقى تحت سيطرة سكانها المحليين بدرجة كبيرة، حتى لو خضعت سياسيًا لسلطة دولة ما. ولهذا نرى في كثير من مناطق العالم أن الشعوب الجبلية تحتفظ بلغاتها وهويتها لفترات أطول.

في الأناضول والقوقاز والبلقان نجد أمثلة مشابهة، كالألبان في جبال البلقان، والجورجيون في القوقاز، وبعض شعوب الأناضول الجبلية. هؤلاء حافظوا على الاستمرارية السكانية بسبب طبيعة الجغرافيا. وهذه القاعدة تنطبق إلى حد كبير على الحزام الجبلي الممتد من جبال زاغروس إلى هكاري وبوتان وأعالي دجلة، وهو الإقليم نفسه الذي وصفه زينوفون عندما تحدث عن الكاردوخيين الذين كانوا يهاجمون جيشه من المرتفعات. فالمصادر الكلاسيكية تصف سكان تلك الجبال بأنهم مستقلون نسبيًا عن السلطة المركزية، وأنهم يعتمدون على طبيعة الجبال الوعرة في الدفاع عن أنفسهم.

موقعة كاردوخيا وجيش العشرة آلاف جندي لزينوفون خير برهان على هذه الديمومة، إذ ترك الإغريق بعد عودة الجيش المنهزم المهاجمون، دون عودة لغزوهم لاحقًا باسم الانتقام مثلًا. فالسائد في تلك العصور هو الاستيلاء على المناطق وغزوها طمعًا في ثرواتها. وهذا ما لم يحصل مع الكاردوخيين الذين لم يعد يتعرضوا لغزو من جيشٍ تعرض منهم لمضايقات، على ما هم عليه من هزيمة سابقة.

لقد ورد في كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي ذكر بلاد بعيدة تسمى دهلك، تقع في أقاصي شبه الجزيرة العربية حين قال: «دَهْلَك: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ولام مفتوحة، وآخره كاف، اسم أعجمي معرب، ويقال له دهيك أيضا :وهي جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيّقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها، وقال أبو المقدام:

ولو أصبحت بنت القطاميّ، دونها ... جبال بها الأكراد صمّ صخورها

لباشرت ثوب الخوف، حتى أزورها ... بنفسي، إذا كانت بأرض تزورها

ولو أصبحت خلف الثريّا لزرتها ... بنفسي، ولو كانت بدهلك دورها

كذلك قال أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن قلاقس الإسكندري يذكر دهلك وصاحبه مالك بن الشدّاد:

وأقبح بدهلك من بلدة، ... فكلّ امرئ حلّها هالك

كفاك دليلا على أنها ... جحيم وخازنها مالك

يظهر من هذا التصوير الشعري أن جبال الأكراد كانت تُتصوَّر في المخيال العربي موطنًا شديد الوعورة والصعوبة. فحين يُهوِّل كلا الشاعرين من أمر البقعة تلك، ويربط أحدهما هول الأمر بقساوة الجبل حيث موطن الأكراد، في حين أن الثاني يربط الأمر بخازن جهنم «مالك»، يتبين كيف كانت صورة جبال الأكراد عصية في الذهن الجمعي على مر العصور. وهذا ما كان قد علق بذهن زينوفون حين قفل عائدًا إلى بلاده، إذ ما حال بينه وبين الرجوع إليها ليحتلها أو ليستعمرها. وهذا ما يسميه المؤرخون بسمعة الجغرافيا.

وعلى ذكر الاحتلال والاستعمار الذي ما قام به الإغريق منذ آلاف السنين، نرى أنه في العصور الأخيرة ظلت جبال الأكراد عصية على الاحتلال أو الاستعمار الأوروبي الذي طاف المنطقة بجلها، وحتى مواطن الأكراد. غير أن مناطقهم لم تشهد استعمارًا أوروبيًا مباشرًا واسع النطاق كالذي شهدته مناطق أخرى من الشرق الأوسط. وهذا ما جعل ديمومة الكردي عصية على الاندثار.

الخاتمة: أحجية البقاء

ما شدّ انتباهي بعمق بقاء الأكراد وتزايدهم رغم ألوف السنين من التشتّت وغياب دولة قومية جامعة، في الوقت الذي اندثرت فيه حضارات وإمبراطوريات وممالك حكمت العالم بما فيه من شعوب وأمم.

ولطالما تساءلت كيف حافظ الأكراد على وجودهم بلا دولة ولا مملكة، ولم يذوبوا في هويات كما ذاب الأقوياء من أهل الدول كالفراعنة أو الرومان بأباطرتهم رغم حكمهم للعالم، وحافظ على امتداده العرقي؟

الجواب الأدق في تفصيله يكمن في أن الكردي امتلك ما فقدته تلك الحضارات التي لم يبقَ منها سوى أثر مكتوب. إذ لم يبنِ ذاته على قوة الدولة، بل شيدها خارج إطارها ومؤسساتها، ذاتيًا من داخل العائلة الممتدة والعشيرة واللغة الشفوية والجغرافيا وثقافة الاعتماد على الذات. والأهم من ذلك كله الجبل وبأسه الذي عرف به، بإشادة زينوفون نفسه حين وصفهم بأنهم مقاتلون أشداء لم يخضعوا لملك الفرس.

أما الأمم التي اندثرت، فارتبط وجودها بقوة الدولة أو بلغة النخبة والمؤسسة المركزية، فلما زال هذا الإطار ذاب الوجود في الكيان الغالب. كما أن التزايد السكاني للكرد دليل إضافي على تلك المرونة الحيوية؛ فالجماعات التي تعجز عن التكيف الاجتماعي والثقافي تتناقص وتذوب فتضمحل، أما الجماعات التي تورث لغتها وعاداتها داخل الأسرة والمجتمع فتبقى، حتى دون اعتراف دولي.

قد لا تُرفع لكردستان راية بين رايات الدول خارج مبنى الأمم المتحدة، وقد تهدم المباني وتمزق الأعلام، غير أن الكرد ظلوا بوجود راسخ يصارعون العدم. وإن كان قد كُتب للوجود الكردي أن يكون قدره عدمًا، يفنى فيه كما فني أسياد العالم في أزمانهم، كالروماني والبيزنطي، لانعدم منذ أحقاب بعيدة.

وهذه شهادات جغرافية أوردتها في كتيبي هذا موثقة كتابيًا لأكثر من ألفي سنة، مجاورة لشواهد أثرية لرموز كتابية على آثار لأقدم منها بألف سنة تفك لغز أحجية البقاء رغم أسباب الزوال.

المراجع والمصادر

المصادر الكلاسيكية

- Xenophon. *Anabasis*
- Herodotus. *Histories*
- Strabo. *Geographica*
- Pliny the Elder. *Naturalis Historia*

المصادر الإسلامية

- ياقوت الحموي. *معجم البلدان*
- محمود الكاشغري. *ديوان لغات الترك*

الدراسات والمراجع الحديثة

- George Rawlinson. *The Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World*. London, 1862.
- James Rennell. *The Geographical System of Herodotus Examined and Explained*. London, 1800.
- Samuel Bochart. *Geographia Sacra*. Caen, 1646.

الخرائط والمصادر الجغرافية

- Jan Huygen van Linschoten. *Itinerario.* Amsterdam, 1596.
- Heinrich Kiepert. *Generalkarte des Türkischen Kriegsschauplatzes.* Berlin, 1916.

المصادر الرقمية

- Project Gutenberg
- Library of Congress
- David Rumsey Map Collection
- Internet Archive
- Loeb Classical Library
- LacusCurtius
- Encyclopaedia Iranica

الفهرس